

## سماحة الشيخ ابن باز

بقلم فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن صالح القاضي\*

الحمد لله الذي وفق من أراد به خيراً للتفقه في الدين، وهدى بفضلته من شاء إلى سبيل المهتمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين، والمبعوث رحمة للعالمين، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، والصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

مصباح دجى للمدجلين، ومنازة هدى للسالكين، هو علمنا المترجم له في هذا المختصر - رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه الفردوس الأعلى، وجعل قبره روضاً من رياض الجنان. إنه الإمام العلامة الرباني، صاحب السماحة والسجاجة، والكرم والندي، والزهد والتقوى، بحر علوم الشريعة، خصيم الباطل، نصير الحق، واضح البيان، صادق الخبر، القوي الأمين الغيور واسع الشفاعة، طويل يد العون. فاضت روحه الطاهرة صبيحة يوم الخميس السابع والعشرين من شهر الله المحرم من عام عشرين وأربعمائة وألف للهجرة.

اسمه ونسبه ومولده

هو عبدالعزیز بن عبدالله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله آل باز ولد

\* القاضي بالمحكمة المستعجلة بالدمام، عمل قاضياً في محكمة تيماء بمنطقة تبوك، حصل على درجة الدكتوراة في الفقه المقارن من المعهد العالي للقضاء التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، له عدد من المشاركات.

بمدينة الرياض في ذي الحجة سنة ١٣٣٠ هـ. وكان بصيراً ثم أصابه المرض في عينه عام ١٣٤٦ هـ فضعف بصره بسبب ذلك ، ثم ذهب بالكلية في مستهل محرم من عام ١٣٥٠ م قال - رحمه الله - تعليقاً على ذلك : والحمد لله على ذلك ، وأسأل الله أن يعوضني عنه بالبصيرة في الدنيا ، والجزاء الحسن في الآخرة ، كما وعد بذلك سبحانه على لسان نبيه محمد الله ، كما أسأله سبحانه أن يجعل العاقبة حميدة في الدنيا والآخرة ا. هـ .

نشأته وطلبه للعلم وشيوخه

بدأ - رحمه الله - الدراسة منذ الصغر وحفظ القرآن الكريم قبل البلوغ ، ثم بدأ في تلقي العلوم الشرعية والعربية على أيدي كثير من علماء الرياض . فلم يجبس سماحته وقته على أستاذ واحد ، بل تلقى عن كثير من أهل العلم ، وكان أغلبهم من الأسرة المباركة التي لا تزال قائمة على رعاية الأمانة التي تداولت رايتها منذ حاملها الأول مجدد القرن الثاني عشر الهجري شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب عليه رحمة الله .

غير أن أطول سنيّه الدراسية التي قضاها في التلمذ كانت على سماحة الشيخ الإمام العلامة - وحيد عصره وفريد دهره - محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ - رحمه الله - ، فقد لازم حلقاته نحواً من عشر سنوات ، وتلقى عنه جميع العلوم الشرعية ابتداءً من سنة ١٣٤٧ هـ إلى سنة ١٣٥٧ هـ حيث رشح للقضاء من قبل سماحته .

ومن الأعلام الذين تلقى عنهم العلم أيضاً :

- الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمهم الله - .

- الشيخ صالح بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن

عبد الوهاب (قاضي الرياض) - رحمه الله ..  
- الشيخ سعد بن حمد بن عتيق (قاضي الرياض) - رحمه الله ..  
- الشيخ حمد بن فارس (وكيل بيت المال بالرياض) - رحمه الله ..  
- الشيخ سعد بن وقاص البخاري (من علماء مكة) - رحمه الله - أخذ عنه  
علم التجويد عام ١٣٥٥ هـ

### الأعمال التي تولاهما

#### أولاً: القضاء:

حيث قضى في منطقة الخرج مدة طويلة استمرت أربعة عشر عاماً وأشهر ،  
وامتدت بين سنة ١٣٥٧ إلى عام ١٣٧١ هـ .  
وكان خلالها كشأنه في كل مكان مصدر خير وبركة وإصلاح لكل ما حوله ،  
ولكل من حوله ، وقد ساعده على ذلك - كما ذكر رحمه الله - طيب قلوب  
الناس ، وتقديرهم لأهل العلم ، وميلهم الفطري إلى العدل .  
فكان يقيم قسطاس العدالة بين المتقاضين ، حيث كان فهماً ، حليماً ، عفيفاً ،  
صليباً ، عالماً ، سؤولاً عن العلم ، قوياً من غير عنف ، ليناً من غير ضعف ، لا  
يتبع الهوى ، ولا يخشى الناس ، ولا يشتري بآيات الله ثمناً قليلاً .  
وقد اجتمع له ركنا الولاية : القوة في الحكم : التي ترجع إلى العلم به ،  
والعدل في تنفيذه ، والأمانة : التي ترجع إلى خشية الله .  
وكان - رحمه الله - يوقن بأن القاضي إذا علم الناس وأرشدهم ، كفوه نصف  
مشاكلهم ، فكان حريصاً على ذلك ، حيث إن مثله لا يستطيع الانقطاع عن  
إشاعة العلم ، كلما وجد إلى ذلك سبيلاً .

#### ثانياً: التدريس:

حيث درّس في المعهد العلمي بالرياض سنة ١٣٧٢ هـ ودرس بكلية الشريعة

بالرياض بعد إنشائها عام ١٣٧٣ هـ علوم الفقه، والتوحيد، والحديث، واستمر عمله على ذلك تسع سنوات انتهت عام ١٣٨٠ هـ، وعين في عام ١٣٨١ هـ نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وبقي في ذلك المنصب إلى عام ١٣٩٠ هـ. ثم تولى رئاسة الجامعة الإسلامية سنة ١٣٩٠ هـ بعد وفاة رئيسها سماحة الشيخ الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله -، وبقي في هذا المنصب إلى عام ١٣٩٥ هـ وكان له أثر حميد مبارك في الجامعة الإسلامية، حيث باشر غرسها من أول أيامها، ثم مضى يسقيها ذوب قلبه، وبذل لها من الجهد ما لا يضاهيه إلا سهر الأم على طفلها الحبيب، فأصبحت على ما هي الآن مجيدة حميدة مديدة تؤتي أكلها مرتين بإذن ربها.

ولم ينقطع الشيخ عن التدريس إذ ذلك شأنه في حله وترحاله، فمجالسه عامرة بذلك في المسجد وفي البيت، وفي ديوان الإفتاء وله طلاب كثير نهلوا من المعين العذب جعلهم الله مباركين أينما كانوا.

ثالثاً: الإفتاء:

ففي ١٤ / ١٠ / ١٣٩٥ هـ صدر الأمر الملكي بتعيين سماحته في منصب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وفي عام ١٤١٤ هـ صدر الأمر الملكي بتعيينه مفتياً عاماً للمملكة برتبة وزير، وبقي على ذلك حارساً لثغر من أعظم ثغور الإسلام، يوقع عن الله ويبين للناس شريعة الله وينافح عن دين الله في ثلة مباركة من علماء الإسلام.

### مزاياه وخصائصه

لقد عاش سماحة الشيخ - رحمه الله - حياة علمية دعوية متوازنة، يتوافق فيها العلم مع العمل، وتقترن فيها المعرفة بالسلوك حياة تجلّى في توازنها العلم الغزير، والعطاء النير، والإسهام العميق، والمدد المتسع إلى ميادين الحياة كافة،

امتداد في العلم والدعوة والتربية والتوجيه شمل أصقاعاً عريضة من العالم الفسيح من خلال أثره العلمي المقروء والمسموع، ومشاركاته الميدانية في المؤتمرات والجامع والحلقات والمنابر والمجالس واللجان رئاسة وأستاذية وعضوية، إنه رجل شاء الله أن يقع على كاهله أعباء جسام في الدعوة والإرشاد والبحث العلمي والإفتاء وخدمة قضايا المسلمين كافة.

إن من يسبر ويرصد حياة هذا الإمام يدرك وضوح الطريق عنده وانسجامه مع نفسه، ومن حوله في توافق سوي، وسيرة معتدلة، ونهج قويم.

وأعظم ما يميز سماحته - رحمه الله - ما يلي:

أولاً: علمه الغزير المتدفق المأخوذ من النورين الكتاب والسنة، فهو بحر علوم الشريعة - أفنى عمره في تحصيله - وهياً الله لذلك وهداه إليه يشهد لذلك: - حفظه كتاب الله تعالى الكريم والصحيحين البخاري ومسلم مع اتقانه لأكثر كتب السنة متناً وسنداً.

- درسه وتدرسه للتفسير، والعقيدة، والحديث ومصطلحه، والفقه وأصوله، وعلوم اللسان العربي ما يقارب ثمانين سنة، وتمكنه من ذلك في وقت مبكر من عمره، فمما عرف عن سماحته - رحمه الله - اهتمامه بالدليل ووقوفه عنده ووضوح الدليل عنده في المسائل، فقليلاً ما تجد لسماحته قولاً رجع عنه لأنه ابتداءً لا يصدر قولاً إلا بعد تمحيص وتدقيق ونظر وتأمل في الدليل ودراسة واعية وفهم عميق مع إحاطة بكليات الشريعة ومقاصدها وأصولها وقواعدها. فكان يقول - رحمه الله -: إن واجب أهل العلم الأخذ بالدليل من الكتاب والسنة، ورد ما تنازع فيه الناس إليهما ففي ذلك طمأنينة القلب وراحة الضمير، لإيمان طالب العلم بأنه يأخذ الحكم عن الله ورسوله لا عن الرجال.

- قيامه على القضاء والإفتاء رسمياً ما يقارب الأربعين سنة .
- الميراث العلمي الكبير الذي تركه وراءه، من الفتاوى، والمحاضرات، والمخاطبات، والدروس، والرسائل، والكتب، فمن كتبه:
- مجموع الفتاوى والمقالات التي طبع منها إلى الآن ثلاثة عشر مجلداً .
- التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة . . . توضيح المناسك .
- التحذير من البدع، ويشتمل على أربع مقالات مفيدة .
- رسالتان موجزتان في الزكاة والصيام .
- العقيدة الصحيحة وما يضادها .
- وجوب العمل بسنة الرسول ﷺ وكفر من أنكرها .
- الدعوة إلى الله وأخلاق الدعوة .
- وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما يخالفه .
- نقد القومية العربية .
- الجواب المفيد في حكم التصوير .
- الشيخ محمد بن عبد الوهاب «دعوته وسيرته» .
- ثلاث رسائل في الصلاة .
- حكم الإسلام فيمن طعن في القرآن أو في رسول الله .
- حاشية مفيدة على فتح الباري وصل فيها إلى كتاب الحج .
- رسالة الأدلة النقلية والحسية على جريان الشمس وسكون الأرض وإمكان الصعود إلى الكواكب .
- إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين .
- الجهاد في سبيل الله .

- الدروس المهمة لعامة الأمة .  
- فتاوى تتعلق بأحكام الحج والعمرة والزيارة .  
- وجوب لزوم السنة والحذر من البدعة .  
ثانياً: تحقيقه لمعاني العبودية إخلاصاً واتباعاً، عقيدة راسخة في الله ورسوله وكتابه ودين الإسلام مما جعل له قبول في قلوب الناس برهم وفاجرهم .  
ومن رآه تذكر قول رسول الله ﷺ: «يحمل هذا الدين من كل خلف عدوُّه» عاش في الدنيا وقلبه إلى الآخرة، وصل بحبل الله عراه، وغمر بحبه قلبه، ورطب بذكره لسانه، وشغل بطاعته جوارحه، لم يوحشه قلة السالكين، ولا كثرة الهالكين، مقرح الأجنان، سريع الدمعة، من خالط سماحته وجالسه يروي الكثير من ذلك .

ثالثاً: خصومته للباطل وأهله، في أنفه شمم، وفي قلبه إباء، قوته من قوة الحق الذي يدعو إليه . وعزته من عزة الله الذي يؤمن به، ذو بصيرة نيرة لم تنخدع بالبهارج، ولم ينطل عليها الكذب أو يخفى عليها البهتان، أو تستخف وتخدع .

يقول الحق الذي يدين الله به وإن خالف هوى الغالين أو المفرطين، الحق غايته والحق منهجه وتراه من أسرع الناس إلى إنكار البدع والمنكرات؛ لأنها في نظره عدوان على حقائق الوحي وتغيير لدين الله، وفي النهاية هي إبعاد للمسلمين عن جادة الإسلام . وكان يسلك إلى غرضه أحكم المسالك فيجمع بين اللطف والقوة، ويقدم مواعظه بظروف من نور وكان يتعامل مع المخالف بروح الطيب الذي يعلم أن ثقة المريض به أول أسباب الشفاء، يحدوه في ذلك النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

رابعاً: الخلق العظيم، ضرب من نفسه القدوة والمثل في ذلك له روح وثابة

ونفس تواقفة تعشق الفضائل وتهيم بحب المكارم سيماه السكينة والوقار والكرم والندى، والزهد والتقوى، بسيط في عظمته، ومتواضع في هيئته، وقريب في رفعتة .

دان على أيد العفاة، وشاسع عن كل ند في الندى وضريب كالبدر أفرط في العلو وضوءه للعصبة السارين جد قريب

مسلكه الطبيعي الشورى في كل شأن يتسع للتشاور، وقد يعترضه الأمر فيه الإبهام، فيطرق ملياً يتأمله في صمت، ثم يدلي برأيه، أو يقول لمن حوله من يثق به: أشيروا علي .

مثالياً في مقدرته على إدارة الجلسات وضبطها والتعليق على الكلمات باقتدار وتواضع، وتوجيه للنقاش لكي يكون إيجابياً منتجاً مع إنزال الناس منازلهم، وتحمل من يشتط منهم في رأي أو يحتدم في نقاش .

خامساً: اهتمامه بالدعوة إلى الله فهو يعلم أنه إنما خلقت الخليقة لإقامة ذكر الله وتحقيق العبودية لله فلا بد من تبليغ دين الله للعشيرة الأقربين ولأم القرى ولمن حولها فوظيفة الرسل واتباع الرسل البلاغ المبين، فلم يفتأ يعظ ويذكر ويعلم وينصح، ويراسل، ويكاتب، ويبعث الدعوة إلى كل فج عميق في هذه المعمورة قياماً بالواجب وأداءً للأمانة، وأن نشاطه ليمتد إلى الأفاصي البعيدة من وطن الإسلام ومهاجر المسلمين، ويشرف سماحته بنفسه على محاضرات الموسم، ولا يكاد يغيب عن إحداها إلا مضطراً، ويعقب على المحاضرة بما يوضح غامضها، ويوسع جوانبها، ويبين ما قد يرد فيها من متشابه، ساعده على ذلك الصدر العامر بالإيمان والعلم وما منحه الله تعالى



من قدرة على الخطابة فهو خطيب مصقع ، قادر على ترتيب أفكاره حتى لا تتشتت ، وضبطه لعواطفه حتى لا تغلب على عقله ، وسلامة أسلوبه الذي لا يكاد يعتربه اللحن في صغير من القول أو كبير ، وتحرره من كل تكلف ، سلاسة طبع ، وبراعة منزع ، وإيجاز مقطع ، ونصاعة لفظ ، وجزالة قول ، وصحة معان .

سادساً: البركة : إنه رجل مبارك بورك له في عمره ، ووقته ، وخلقه ، وهمته ، وعلمه ، يقضي ، ويعلم ويفتي ، ويدعو ، ويدرس ، ويؤلف ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويشفع الشفاعة الحسنة ، ويحج ويعتمر ، ويقوم الليل ، ويصوم النهار ، كان مفتياً للمملكة ، ورئيساً لهيئة كبار العلماء ، وعضواً برئاسة المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ، ورئيساً للمجمع الفقهي ، ورئيساً للمجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، وعضواً بالهيئة العليا للدعوة الإسلامية في المملكة ، وإنك لتعجب كيف لرجل قد جاوز الثمانين أن يقوم بمثل هذه الأعباء فلا تجد جواباً إلا إنها البركة التي يختص بها الله من يشاء من عباده ، فيتحقق لأحدهم من أعمال اليوم الواحد ما تضيق به الأسابيع بل الأشهر من أعمال الآخرين .

وقد عرف ولاية الأمر - نصرهم الله بالإسلام ، ونصر الإسلام بهم - لسماحته قدره ومنزلته فكانوا له نعم المعين والسند بعد الله عز وجل ، انطلاقاً من منهجهم السوي في محبة العلماء وتقديرهم وإنزالهم منازلهم ، وإن تولية سماحته - رحمه الله - تلك المناصب الحسنة من حسنات هذه الدولة المباركة .

وفاته

صبيحة يوم الخميس ٢٧ / ١ / ١٤٢٠ هـ.

مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة غداة ثوى إلا اشتتت أنها قبر فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها، وبتسامع الناس بالخبر، لف الخليفة المؤمنة حزن لفراقه، وأصبحوا كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية، لفقدهم شيخهم وإمامهم فاحتسبوه عند الله، واسترجعوا، وترحموا عليه، وتضرعوا إلى الله بأن يجيرهم في مصيبتهم ويخلفهم خيراً منها.

وصلّى عليه صلاة الجنّزة في المسجد الحرام بمكة المكرمة بعد صلاة الجمعة من يوم الجمعة الموافق ٢٨ / ١ / ١٤٢٠ هـ جمع غفير من المسلمين يذكر مشهدهم ما وصف عن مشهد الناس في جنازة إمام أهل السنة أحمد بن حنبل - رحمه الله -، وصلّى عليه صلاة الغائب في كل مساجد هذه الديار المباركة وفي كثير من بلدان العالم الإسلامي وبقاع الأرض.

رفع الله درجة سماحته في المهديين، وخلفه في عقبه في الغابرين، وأمنه من الفزع يوم الدين، وأتاه كتابه باليمين، وجعله من ورثة جنة النعيم. هذا الذي جمعته في ترجمة سماحته - رحمه الله - من كلام علماء فضلاء بعض ما يعرف عن سماحته كذا نحسبه والله حسيبه ولا نزكي على الله أحداً.

\* سقط سهواً في العدد الأول التنويه إلى أن الكلام عن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله - قد نقل بتصرف عن كتاب «عالم فذ وملك جهيد» لفضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد المدرس بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.